الخطبة الخامسة والعشرون
الأمر الحسي والأمر المعنوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هل فكرت في يوم من الأيام في قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[الزلزلة: 99/ 7 – 8]، هل فكرت في مثقال الذرة؟ ليس الذرة وإنما مثقال الذرة؟ فكرمعي وشاركني ...

1. إن العدل الإلهي المطلق يتطلب ذلك، عدله سبحانه وتعالى يناسب اسمه وصفاته من هذا العدل ومعه ينمحي الظلم، فلا بد من مثقال ذرة لك أو عليك.

2. إن هذا واقع لي ولك للعمل مهما كان صغيراً فلا تستهن به، ومهما كان تافهاً في نظرك لكنه قد يُثَقِّلُ ميزانك ...

كُنَّا عِنْدَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ في صَدْرِ النَّهَارِ، قالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ العَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِن مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِن مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ لِما رَأَى بهِمْ مِنَ الفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فأمَرَ بلَالًا فأذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى آخِرِ الآيَةِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾[النساء: 4/ 1]، وَالآيَةَ الَّتي في الحَشْرِ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[الحشر: 59/ 18]، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِن دِينَارِهِ، مِن دِرْهَمِهِ، مِن ثَوْبِهِ، مِن صَاعِ بُرِّهِ، مِن صَاعِ تَمْرِهِ، حتَّى قالَ: ولو بِشِقِّ تَمْرَةٍ قالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ بصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجَزُ عَنْهَا، بَلْ قدْ عَجَزَتْ، قالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِن طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بهَا بَعْدَهُ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كانَ عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ

مَن عَمِلَ بِهَا مِن بَعْدِهِ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِمْ شيءٌ(رواه مسلم (1017) - والنسائي(5/ 75) - وابن ماجه (203)).

وحديث جرير ﷺ يوضح ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم ظنوا أنهم يجب أن يدفعوا مبالغ طائلة لهؤلاء الفقراء، وحيث إنهم لايملكون مبالغ طائلة لم يدفعوا، إلى أن جاء الأنصاري الذي فهم وعرف أن الله تعالى لايكلف نفساً إلا وسعها، وكل إنسان حسب قدرته، فجاء بصرة ملء كفه فوضعها، صرة من تمر، من زبيب، من أي شيء يقدرعليه فوضعها، فتنبه الناس وتشجعوا فكل أتى بما عنده، فقال رسول الله ﷺ قولته: «من سن في الإسلام سنة حسنة»، وقد أشكل على بعض الأخوة هذا الحديث وقالوا: كيف يسن الرجل في الإسلام سنة ورسوله ﷺ يقول: «وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» صحيح - أبو داود، وبعض الأخوة أشكل عليهم أمر آخر وهو قوله ﷺ: (سنة سيئة) فقالوا هل في الإسلام سنة سيئة ... والجواب بإذن الله هو أن السنة هي فعل عمل لم يُسبق إليه ...

فالسنة الحسنة: هي عمل لها أصل في الشريعة ويوافق الهدي القرآني أو الهدي النبوي ... كرجل ابتدأ أشرطة تسجيل للقرآن أو لدروس العلماء، فهذا أمر لم يسبق إليه ولا كان موجوداً، ولكن تبليغ العلم ونشر الهداية بين الناس وتلاوة القرآن هذا أصل من أصول الشريعة، ونشر الكتب وطباعتها والدروس التلفزيونية، والنشاطات الإسلامية على الإنترنت، والقمصان التي يطبع على ظهرها فوائد إسلامية، كل هذا من السنن الحسنة، وإحياء الشعائر الدينية، وإحياء السنن النبوية، إحياء السنة والعمل بها من السنن الحسنة.

أما السنن السيئة: فهي أعمال أساسها معصية، ولايرضى عنها الدين، وفيها مخالفة وهذه الأعمال ابتدأها شخص ما، فهذه سنة سيئة؛ أي طريقة سيئة أي منهج وسلوك سيئ، وإحياءٌ لمعصية، المثال نفسه كرجل ابتدأ تسجيلاً لأغانٍ سافلة وماجنة ومنحطة وأصوات نساء فاجرات، أو لدروس كفر ومناقشات مخالفة للدين وما إلى ذلك، فهذه كلها سنن سيئة.

وبعض الإخوة يخلطون بين البدعة والسنة ... البدعة نوعان:

1. بدعة دنيوية – فهذه جيدة ومطلوبة كالاختراعات والاكتشافات وما يفيد الإنسان في حياته.

2. بدعة دينية – فهذه مرفوضة وهي ضلالة وهي في النار ولا يوجد بدعة حسنة دينية، لأن البدع ضلالات وذلك لأن البدعة إما زيادة في الدين، وهذا ضلال، لأن الدين ليس ناقصاً، والله سبحانه لم ينس شيئاً، ورسول الله ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ولم يُنقص شيئاً مما بلغه الله إياه، والله أقر وأثبت ورضي بأن الدين كامل وتام وقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: 5/ 3]، وأما أن تكون البدعة بإنقاص شيء من الدين وهذا أيضاً ضلال لأن الدين كامل وتام، وإنقاصك شيء من الدين كزيادة شيء إليه لأنك تتهم الله سبحانه وتعالى وتتهم رسوله بعدم العلم وأنك اكتشفت ورأيت واستحسنت ما لم يكتشفه أو يعلمه أو يستحسنه الله ورسوله وهذا كفر محض، أما السنة فهي ابتداء عمل يوافق الشريعة فهو سنة حسن، وإن خالفها فهو سنة سيئة– والله أعلم – أعتذر على هذا الاستطراد ولكنها أفكار راودتني ... وأعود فأقول، قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[النساء: 4/ 40]، فمهما صغرت الحسنة فإن الله تعالى يقبلها ويضاعفها ويجزيك عنها كما قال عليه الصلاة والسلام.

قال ﷺ: «إن الله تعالى يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى إن اللقمة لتصير مثل أُحد» (ت عن أبي هريرة).

قال ﷺ: «إن العبد ليتصدق بالكسرة تربو عند الله حتى تكون مثل أُحد» (طب عن أبي برزة).

ثم إن هناك قضية مهمة وهي أن ميزان الله تعالى ليس كميزانك والأمور تقاس عند الله بمقياس الورع، والاستقامة، والطاعة، والمحبة، والاستطاعة، وقوله تعالى

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾[التغابن: 64/ 16]، فأي عمل يقوم به الإنسان في سبيل الله وفي سبيل مرضاة الله ومحبة لدين الله، ومحبة في رسول الله ﷺ ويكون هذا العمل موافقاً لشرع الله وموافقاً لهدي النبي ﷺ ويكون هذا العمل خالصاً لله تعالى يُبْتَغَى به وجه الله تعالى، واحتساباً للأجر عنده سبحانه وتعالى، هذا العمل مهما صَغُر ومهما كَبُر فالجزاء عند الله، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ...

قال عليه الصلاة والسلام في رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين» رواه مسلم. فرجل دخل الجنة بعدما غفر الله له وذلك في قطع شجرة أو في رواية في غصن شوك أخّره فشكر الله له فغفر له، أي منا يظن لو أنه أماط الأذى من طريق المسلمين فقد كسب الجنة ... والجنة غالية كما جاء في الحديث «ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» صحيح الترمذي، نعم إنها غالية ولكن الله يثيب على فعل الخيرات والنية الصالحة والخوف على مصالح المسلمين، والجنة كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» متفق عليه، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك» البخاري.

فبادر يا عبد الله إلى فعل الخيرات ولا تستصغر ولا تستهن ولاتستقلل من أي عمل إذا كان خالصاً لله وضمن مرضاة الله وضمن منهج الله ... والذي يخطر في بالي وسامحني، أن قطع شجرة تؤذي المسلمين كان جزاؤها شكراً من الله ومغفرة وجنة، وقطع شجرة أمرحسي تراه وتلمسه، لكن هناك أمراً معنوياً، أمراً لاتراه ولاتحسه، وهو إزالة شبهة من مخ شخص ما، شبهة تخل في دينه وفي عقيدته، إزالة تهمة عن فهم الإسلام وعن المسلمين، توضيح فكرة غامضة، شرح حديث الرسول ﷺ، تفسير آية وشرحها للناس، وجعلهم يعملون وفق الشريعة، هذا الأمر المعنوي إزالته، ماثوابه،

ماقيمته عند الله، هل ثوابه مثل ثواب الأمر الحسي أم أقل أو أكثر؟

قال ﷺ: «مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمـًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طريقـًا إلى الجنَّةِ، وإنَّ الملائِكَةَ لتَضعُ أجنحتَها لطالِبِ العلمِ رضًا بما يصنعُ، وإنَّ العالم ليستغفِرُ لَهُ مَن في السَّمواتِ ومن في الأرضِ، حتَّى الحيتانِ في الماءِ، وفضلُ العالمِ على العابدِ كفَضلِ القمرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العُلَماءَ ورثةُ الأنبياءِ إنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا ديناراً ولا درهمـًا إنَّما ورَّثوا العلمَ فمَن أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وافرٍ» (حم – حب عن أبي الدرداء).

قال أهل العلم: إن ثواب العالم أو الذي يصحح الشبهات والأغاليط ويحارب البدع والضلالات والذي يَذُبُّ عن الإسلام ضلال الضالين، وتحريف الجاهلين، هذا أفضل ممن يزيل الأذى عن طريق المسلمين، وقوله عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس» رواه مسلم. أي خير من الدنيا وما فيها، وقال بعض أهل العلم: إن الأمر الحسي يقوم به كل الناس، كلنا قادر على إماطة الأذى وكلنا قادر على فعل المعروف، لكن الأمرالمعنوي وإزالة الشبهات ومحاربة الضلالات لايستطيعها إلا العالمون الراسخون في العلم، شريطة أن يكون فاعله،مؤمنـًا، مخلصـًا، متعلمـًا،لا يريد إلا الحق، ولا يريد إلا نصرة الدين، ولا يريد إلا مرضاة الله تعالى، ويكون ذا خبرة وأدب وسلوك حسن وأسلوب شائق حتى تُقْبَلَ النصيحة منه ... وإياك ثم إياك يا عبد الله أن تتعلم العلم حتى تظهر به على الناس، أو تكسب به أجراً أو شهرة أوصيتـًا، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من تعلم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار» صحيح ابن ماجه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «من تعلم علمـًا مما يُبتغى به وجه الله، لايتعلمه إلا ليصيب به عوضـًا من الدنيا، لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة» (حم – د – ك صحيح)، (عَرْف الجنة) أي ريحها.

وأُذكِّر نفسي وأخوتي في الله بالحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «لايستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» مسند الإمام أحمد.

وعن أبي أمامة ﷺ (صُدَّيْ بن عِجْلان) عن النبي ﷺ قال: «يُطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب» مسند الإمام أحمد: وقال بعض أهل العلم: كم من عمل صغير أصبح بالنية الصالحة كبيراً، وكم من عمل كبير أصبح بالغفلة عن النية الصالحة ونية العبادة ونية العمل لله تعالى أصبح عادة، ولذلك قالوا الفرق بين العبادات والعادات عزم النيات، ومن الأمور الحسية مارواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق، فاشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه ثم رقي، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، فقالوا: يارسول الله وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر» متفق عليه. فالإحسان إلى الحيوان في هذا الأمر الحسي له هذا الأجر، الجنة يا عبد الله !! فما بالك فيما تفعله إلى بني الإنسان، فأجره أعظم وأعظم، فما بالك إذن بالأمر المعنوي فأجره فوق كل أجر.

قال ﷺ: «أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان أو العقيق فيأتي بناقتين كوماوين زهراوين في غير إثم ولا قطيعة رحم، قالوا: كلنا يا رسول الله، قال: فلأن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل» حم - م - د عقبة بن عامر.

قال ﷺ: «أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان؟ قلنا: نعم. قال: فثلاث آيات يقرأهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان» (م هـ عن أبي هريرة).

أعود فأقول، قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾[الزلزلة: 99/ 7]، الخير الذي تفعله قد يكون أحد أمرين حسي أو معنوي، وتبين لك الفرق، فكلامي عن البدعة والسنة الحسنة والسنة السيئة، أرجو الله أن أكون وُفِقْتُ في تبيان الفرق وأزلت

شبهة عالقة في ذهن أحد الإخوان فأكون قد ربحت ربحًا كبيراً، وهدفي أن نجند أنفسنا لنربح مانستطيع ربحه ونعرف كيف نجني الحسنات العظام، والتوفيق من الله تعالى والقبول منه تعالى، وأختم بحديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت» (ن - حب). إذا قرأتها ومُتَّ دخلت الجنة بإذن الله، لكن إذا علمتها الناس وتناقلوها كم لك من الأجر؟ فعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ «الدال على الخير كفاعله» البزار- الطبراني.

قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جاره فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما عمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل» (حم خ عن أبي هريرة).

قال ﷺ: «ثلاثة أقسم عليهن، وأحدثكم حديثًا فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، وأحدثكم حديثًا فاحفظوه قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا، ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً، ولم يرزقه علمًا، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء» (حم ت عن أبي كبشة الأنماري).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين